مركز حمورابي

المرأة السورية: نحو نظرة مفاهيمية جديدة .

المرأة السورية: نحو نظرة مفاهيمية جديدة .

د ندى اسامة ملكاني - دمشق

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

10 تموز 2024

حقوق النشر محفوظةلمركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الأبحاث و الدراسات و المقالات إلا بموافقة المركز, و يجوز الإقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً , و ليس من الضروري أن تمثل المقالات و الأبحاث و الدراسات و الترجمات المنشورة وجهة نظر المركز , وإنما تمثل وجهة نظر الباحث.

إن دراسة قضية المرأة السورية اليوم لا تنفصل عن دراسة قضايا ملحة تواجه المجتمع السوري منذ العام 2011. ومعاناتها لا تنفصل عن منعكسات الحرب على الجانب الإنساني والسياسي والاجتماعي والجانب القيمي أيضا. لذلك فأي دراسة لهذه القضية هي جزء مهم في أي بحث أو مقال أو إنجاز فكري يسعى إلى معالجة موضوع تمكين الإنسان وبنائه وتعزيز قدراته لمواجهة ظروف وتحديات الحرب.

بمعنى آخر، تناول قضية المرأة وأوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا ينفصل عن الرؤية الليبرالية في أن المرأة كالرجل كائن إنساني يحق له أن يصل إلى فرص تعزز خياراته في الحياة دون تمييز على أساس الجنس. لذا فالسياسات التي تسعى إلى إعادة بناء الإنسان وتمكينه من مواجهة ظروف الحرب يجب أن تدرج قضية المرأة كجزء لا ينفصل عن الإصلاحات السياسية والقانونية والإدارية.

عمقت الحرب في سورية منذ العام 2011 من العوائق التي تقف حائلا أمام قدرة المرأة السورية على الانخراط الفعال في الحياة السياسية. ربما كلمة سياسة ما زالت تخيف الكثير من النساء السوريات وربما شهدت مشاركتهن تذبذبا نتيجة الكوارث الإنسانية التي أفرزتها الحرب ونتيجة للاصطفافات السياسية التي خلفتها الحرب ونتيجة للتأثير السلبي الذي خلفه الصراع المسلح على البنى الاجتماعية.

النساء من أكثر الفئات الاجتماعية تضررا من الكوارث الإنسانية التي ترافق الحروب. وفي سورية- فقدت المرأة المعيل واضطرت إلى النزول إلى سوق العمل بما لا يتناسب أحيانا مع طبيعتها ومع مؤهلاتها العلمية لتعيل أطفالها وأسرة بأكملها في كثير من الأحيان. ولا شك أن مثل هذا الأمر يؤثر بشكل سلبي على مشاركتها في الحياة السياسية، إذ ارتبط عملها بتقديم إعالة طارئة لأفراد أسرتها ما يعني أن مشاركتها في سوق العمل ليست مؤشرا على إسهامها في عملية التنمية، بل ربما عملها هذا قد زاد من حالة البؤس التي تعانيها في أوقات الحروب.

من جهة أخرى، أفرزت الاصطفافات السياسية الحادة تأثيرا سلبيا وإن شئت قل تأثيرا عكسيا على جهود تمكين المرأة ومشاركتها الفعالة في الحياة السياسية، فخلفت منظومة قيمية عززت من عدم قدرة المرأة على بناء اتجاهات سياسية وبلورتها في صورة تمثيل حقيقي فاعل ينعكس بصورة إيجابية على دورها وقدراتها وتمكينها. هذه الاصطفافات ولدت خطاب كراهية ضد المرأة التي تحاول التعبير عن رأيها السياسي. وهذا الخطاب مجتمعي أولا بامتياز يتعلق بالنظرة الدونية للمرأة التي تحاول الخروج عن صيغة دورها كزوجة أو ربة منزل أو أم. وثانيا يتعلق بأزمة التعاطي مع قضية حرية التعبير والرأي في سورية.

كما أن صعود تيارات تنطلق من الدين كأساس للخطاب السياسي والإرهاب والعنف عزز النظرة الدونية للمرأة نتيجة استغلال هذه الجماعات لنصوص الدين بطريقة تبرر خضوع المرأة للرجل دون فهم نقدي وتفسير يتماشى مع روح العصر. ويقلص من فرص المرأة مستقبلا في المشاركة في الحياة السياسية.

من جهة ثالثة، تؤدي الحروب عادة إلى صعود البنى التقليدية من قبيلة وعشيرة وطائفة تؤثر سلبا على الانتماء للوطن وتؤدي إلى بروز الانتماءات ما قبل الوطنية وهذا ينعكس سلبا على طريقة تعاطي المجتمع مع دور المرأة ويعزز النظرة السلبية لدورها، وهذا جزء من تأثير هذه البنى بشكل عام على استقلالية الفرد عن الجماعات الأولية السابقة لنشوء الدولة ويزيد من خطاب دور المرأة "التقليدي" ويهمش المرأة أكثر.

من جهة رابعة، تؤدي الحروب والصراعات الدموية إلى التأثير على المنظومة القيمية للمجتمعات وتفرز حالة من تخبط القيم والمعايير وظهور سلوكيات اجتماعية وسياسية ليست في صالح المرأة. كالتعصب ورفض أي تغيير يصب في تفعيل مشاركة المرأة وإبراز دورها السياسي. فضلا عن تفشي قيم أخلاقية رديئة تتمثل في إساءة التعامل مع المرأة التي لديها اتجاهات سياسية ربما لا تتفق مع اتجاهات سياسية أخرى يتبناها الرجال وأن تجعل خروجها لسوق العمل متماشيا مع الشراكة في عملية التنمية.

المرأة لا يجب أن تكون ضحية ولا أن نعزز رؤيتها لنفسها أنها كذلك بل شريكة في التنمية وفي بناء مستقبل سورية. لذا أقترح بموجب هذا المقال مجموعة من الأفكار التي يمكن أن تكون كفيلة بالإسهام في هذا المجال:

أولا: أي جهود للإصلاح السياسي والقانوني والإداري المرجوة وأي سياسات تهدف لإعادة بناء ما دمرته الحرب يجب أن تدرج المرأة وقضيتها بشكل لا ينفصل عنها. وليس تناول قضية المرأة في المؤتمرات والنقاشات والمنتديات العلمية. بل انطلاق سياسات عملية واقعية تدمج المرأة في فلسفتها ومنظورها وفي تطبيقها.

ثانيا: الانطلاق من فلسفة عمل تعتبر المرأة فردا اجتماعيا فاعلا يحتاج للتمكين كجزء من مشروع إصلاحي يأخذ الإنسان محور الانشغال والاهتمام، بل واللبنة الأولى التي تشيد في تأسيس هياكل هذا المشروع الطويل المنهك. يرى جون استوارت ميل أنه إذا أردنا أن نرى الاختلاف الطبيعي بين الجنسين فيجب أن نعطيهما القدرة ذاتها على إطلاق قدراتهما بحرية عندئذ يمكن التمييز وإدراك الفوارق الطبيعية.

ما يريد ميل قوله إن الرجل والمرأة كلاهما يحتاجان لتعزيز قدراتهما. وما يمكن الإفادة من فكره بهذا الخصوص هو أن أي حكم مسبق على المرأة في أنها غير قادرة على تقلد فرص العمل القيادية والفكرية في الوقت الذي لم تتمتع به بذات الإمكانيات وظروف البيئة الاجتماعية والفكرية والسياسية هو حكم جائر ومتخلف.

ثالثا: على المرأة أن تبحث عن قنوات تسمح لها بالتعبير عن آرائها في مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية ولا أن يكون ذلك محصورا في إطار الدولة بل جمعيات ومنظمات تصب رؤيتها وأهدافها وبرامجها في صلب اهتماماتها. كما يرى براتدراندرسل "إن الإنسان كائن نام، كالنبات والمؤسسات الاجتماعية سياسية كانت أم تربوية أو دينية يجب أن تفسح المجال لنمو الإنسان لا أن تعيقه. لكل إنسان ميزته الخاصة في النمو ولا ينتظر من المؤسسات السياسية وبشكل خاص من الدولة أن تحدد تلك الميزة الشخصية أو أن تعيقها أو أن تفرض على الأفراد نمطا واحدا من النمو.....

رابعا: المرأة بحاجة إلى بنى اجتماعية تفتح ذهنها نحو الإبداع والتفكير خارج القوالب الجاهزة. ليست المرأة بحاجة إلى أدوات مادية أفضل فحسب، بل هي بحاجة أيضا إلى حرية أكثر وإلى انفتاح على الإبداع إلى تعاون مشترك أكثر وإلى خضوع أقل لأهداف ليست من إبداعها. يجب أن تحاول المؤسسات خلق كل ذلك.

خامسا: المرأة لها دور تربوي مهم جدا، ولا يعني تحرير المرأة أن تترك أدوارها المهمة ولن أسميها التقليدية بل المهمة، المهمة جدا. المرأة تستطيع أكثر من الرجل أن تغرز في روح أبنائها ثقافة قبول الآخر والحوار وهذا يتطلب الاهتمام بتعليم المرأة ومكافحة التسرب من التعليم الذي كان نتيجة مؤسفة للأحداث الدائرة في سورية. وهي تستطيع أكثر من الرجل في الاضطلاع بهذه المهمة لأنها أكثر تواجدا مع أطفالها ومع عائلتها إذا افترضنا أنها غير عاملة ولم تستطع بسبب ظروف معينة أن تجمع بين تحصيلها العلمي وإدراج مخرجاته في سوق العمل.

سادسا: من المهم في سورية أن تشارك المرأة في نشاطات تزيد من ثقتها بذاتها وقدراتها وتمكنها من تغيير نظرتها لنفسها على أنها أقل من الرجل في الاضطلاع بأعباء ومسؤوليات مهمة ومعينة ولاسيما المهام السياسية والمسؤوليات الإدارية العالية.

سابعا: الدور السياسي والتمثيل السياسي للمرأة مهم ولن يكون فاعلا ما لم تتحسن ظروف حياة المرأة المعيشية والمهنية والاجتماعية، أي أن السياسة مثلها مثل أي فرصة تحدث عنها ميل في أنه يجب توفير فرص متساوية للمرأة والرجل في ظروف الحياة وبعدها يمكن تقصي الاختلاف في مدى قدرة كل منهما على الإنجاز. وبطبيعة الحال، هذا لا ينفصل بمجمله عن أزمة الوضع المعيشي وأزمة المشاركة السياسية بشكل عام في سورية ولا سيما في ظل الحرب والتي تحتاج إلى سياسات مدروسة.

لا أريد تجاوز الواقع العربي عموما في التعاطي مع المرأة والنظرة الاجتماعية وثقل الأعباء والتقاليد الاجتماعية والمفاهيم الدينية ... بما أن الواقع العربي محتجز بالنص وغير قادر على ما يبدو على إعمال فكرة التجاوز التي هي أهم فكرة في التغيير. سيبقى دور النهوض بالمرأة في هذا الواقع هو المرأة نفسها أولا..رفضها وفضيلتها في اللا صمت وليس السكوت بالمفهوم الأرسطي أو القوامة بالمفهوم الديني أو أن يكون السكوت زينة جنسها حسب رأي هوميروس في الألياذة.....بل تبدأ بالفعل من نظرتها لنفسها وأعول على الإنتاج الفكري للنساء المثقفات وعلى تدعيم البيئة الممكنة للمرأة لأن تكون عنصرا فاعلا وشريكا تنمويا دون استمرار النظرة لنفسها أو نظرة المجتمع إليها على أنها ضحية، فذلك لن يفيدها شيئا.

ما أشد تأثير استخدامنا لعبارات معينة على نمط أفكارنا، فإذا كانت اللغة أهم وسيلة لتواصل البشر وتعبر عن درجة رقيهم الحضاري ومخزونهم المعرفي ونمط تفكيرهم، فإن استخدام هذه اللغة وكيفية انتقاء العبارات أيضاً تسهم بدرجة ما في تشكيل الجانب اللا واعي من تفاعلاتنا في سياق المجتمع. المرأة ليست عنصرا متمايزا بل شريكا في التنمية مع احترام خصوصيتها وطبيعتها " بمعنى الاختلاف وليس بمعنى النبذ" وبعيدا عن تعميق الفصل بين الجنسين "المرأة والرجل"،

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في،18-11-2006 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

hcrsiraq

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة - العرصات الهندية-قربالسفارةالصينية